

أضواء البيان

@ 13 @ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } والصيغة في قوله { فَلَا رَفَا وَلَا فُسُوقَ
وَلَا جِدَالَ } صيغة خبر أريد بها الإنشاء : أي فلا يرفث ولا يفسق ، ولا يجادل ، وقد تقرر
في فن المعاني أن الصيغة قد تكون خبرية ، والمراد بها الإنشاء لأسباب منها التفاؤل كقوله
: رحم الله زيداً ، فالصيغة خبرية ، والمراد بها إنشاء الدعاء له بالرحمة ، ومنها إظهار
تأكيد الإتيان بالفعل ، وإلزام ذلك كقوله تعالى : { هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ
تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَبَادِ الْبَاطِلِ أَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِ الْبَاطِلِ آيَاتٌ } : أي آمنوا بالله بدليل جزم
الفعل في قوله { يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ } فهو مجزوم بالطلب المراد بالخبر
في قوله { تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ } أي آمنوا بالله ، يغفر لكم ذنوبكم كقوله {
قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ } { تَعَالَوْا أَتْلُ } ، ونحو ذلك ، فالمسوغ
لكون الصيغة في الآية خبرية ، هو إظهار التأكيد ، واللزوم في الإتيان بالإيمان فعبر عنه
بصيغة الخبر ، لإظهار أنه يتأكد ويلزم أن يكون كالواقع بالفعل المخبر عن وقوعه ، وكقوله
تعالى { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ } ، وقوله { وَالْمُطَلَّقاتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَن يَرْفُسَهُنَّ } . فالمراد الأمر بالإرضاع ، والتربص وقد عبر عنه بصيغة
خبرية لما ذكرنا ، كما هو معروف في فن المعاني . .
والأظهر في معنى الرفث في الآية أنه شامل لأمرين : .
أحدهما : مباشرة النساء بالجماع ومقدماته . .
والثاني : الكلام بذلك كأن يقول المحرم لامرأته : إن أحللنا من إحرماننا فعلنا كذا وكذا
، ومن إطلاق الرفث على مباشرة المرأة كجماعها قوله تعالى { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ
الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ } فالمراد بالرفث في الآية : المباشرة بالجماع
ومقدماته ، ومن إطلاق الرفث على الكلام قول العجاج : أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ
الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ } فالمراد بالرفث في الآية : المباشرة بالجماع ومقدماته ،
ومن إطلاق الرفث على الكلام قول العجاج : % (ورب أسرابٍ حجاجٍ كظم % عن اللغا ورفث
التكلم) % .
وقد قدمنا هذا البيت في سورة المائدة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما أنشد وهو
محرم قول الراجز : وقد قدمنا هذا البيت في سورة المائدة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه لما أنشد وهو محرم قول الراجز : % (وهنَّ يمشين بنا هميسا % إن تصدق الطير
تذكرك لَميسا) % .

فقيل له أترفث ، وأنت محرم ؟ قال : إنما الرفث : ما روجع به النساء ، وفي لفظ : ما قيل من ذلك عند النساء . .

والأظهر في معنى الفسوق في الآية أنه شامل لجميع أنواع الخروج عن طاعة الله